كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: اهمية افريقيا وصلاتها القديمة بالعرب

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : The importance of Africa and its ancient links to the land of the Arabs

أهمية افريقيا وصلاتها القديمة بالبلاد العربية

أولا: النطاق الجغرافي

تعنى هذه الدراسة بتاريخ منطقة واسعة من قارة افريقيا، تمتد من سواحل المحيط الاطلسي غربا الى السواحل الجنوبية للبحر الاحمر واعالي النيل شرقا، وتنحصر بين الصحراء الأفريقية الكبرى شمالا وبين الغابات الاستوائية المطيرة جنوبا. لقد عرف الرحالة والجغرافيون العرب هذا الاقاليم في زمن مبكر واليهم يعود الفضل في كشف كثير من معالمه. وقد اطلق الكتاب العرب في العصر الوسيط على هذه البلاد اسم " بلاد السودان "، واحتوت كتبهم على معلومات قيمة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية فيها، كما اسهبوا في وصف مدنها وممالكها والطرق التي تربطها بالعالم الخارجي، حتى يمكن القول ان ما جاء به الكتاب العرب من معلومات عن افريقيا جنوب الصحراء او بلاد السودان يعد الاساس في معرفتنا التاريخية عن هذه المنطقة.

وتقسم بلاد السودان ثلاثة أقسام هي:

١. السودان الشرقي، ويشمل حوض نهر النيل الأعلى وروافده، وهو يشمل جمهورية السودان حتى الحدود الجنوبية لموزمبيق.

٢. السودان الأوسط، ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، وتعرف اليوم لجمهورية شاد.

٣. السودان الغربي ـ ويشمل المنطقة المحصورة بين المحيط الاطلسي حتى نهر النيجر شرقا ويشمل الآن السنغال ـ وغامبيا، وفولتا العليا والنيجر الاوسط.

تتميز بلاد السودان الى حد ما بملامح جغرافية ونباتية وبشرية متشابهة فهي أرض منبسطة تكسوها حشائش وتتوافر فيها الانهار ومصادر المياه الأخرى ، وقد ساعد هذا التجانس على سهولة الحركة والتنقل.

وتعد بلاد السودان (منطقة السفانا في افريقيا) من اصلح المناطق لقيام الزراعة والرعي والاستقرار السكاني في جنوب الصحراء، ولا سيما انها تقع على بعد متساو من المناطق الصحراوية شديدة الجفاف شمالا ومناطق الغابات الاستوائية ذات الامطار الغزيرة جنوبا، يضاف الى اعتدال كميات الامطار فيها وكثرة اعشابها .
اما فيما يخص المناخ، فالملاحظ انه كلما تقدمنا شمالا تقل الامطار تدريجيا ويقل معها الغطاء النباتي، لقربها من الصحراء، حيث تتميز السفانا هنا بالجفاف وبقلة النباتات. كما ان الأمطار تتناقص تدريجيا باتجاه انحدار الأرض من الغرب الى الشرق ايضا، حيث يشتد سقوط الامطار على المناطق الغربية والساحلية بينما تقل كثافة الامطار في السودان الشرقي وخاصة في المناطق الجنوبية الشرقية من اقليم بلاد السودان .

اما مصادر المياه، فان الانهار الكبيرة وروافدها تشكل موردا مائيا مهما في افريقيا جنوب الصحراء اضافة الى الامطار فهناك عدد من الانهار تخترق بلاد السودان منها نهر النيجر ونهر النيل ونهر الكونغو ـ حيث تعد من الانهار الكبرى، كما ان هناك أنهار أخرى مثل نهر السنغال ونهر غامبيا ونهر الزامبيزي.
اما التكوين البشري لبلاد السودان، فالذي يمكن قوله ان كثيرا من الاسئلة تخطر للباحث عندما يتعرض لدراسة الناس واللغات ليست الاجابة عنها سهلة ميسورة، والشيء الذي يستحق الذكر

هنـا هـو الفـكـرة التي يقـول بـهـا الكثير من علمـاء علـم الانسان واعماله (الانثروبولوجي)، وهي ان قـارة (أفريقيا وبمعنى أكثر تحديدا افريقيا الشمالية) كانت مهد الجنس البشري وأول موطن للانسان على الأرض، ولكن هذه النظرية لها ما يناقضها من الآراء والادعاءات. وعلى اي صورة كانت حقيقـة اصـل مـوطـن الجنس البشري، فانه يمكن القول أن سكان افريقيا بصورة عامة هم من سلالات واصول متنوعة.

ويمكن ان نقسم أفريقيا الى قسمين: مناطق شمال افريقيا وبلاد الصحراء، وسكانها من الحاميين والساميين اصحاب البشرة البيضاء او السمراء. أما المجموعة السكانية التي تحتل القسم الباقي من أفريقيا (من جنوب الصحراء الى جنوب القارة ومن الاطلسي الى الهندي)، فهم من الجنس الزنجي أو السودان الا انهم يختلطون بالدمام الحامية ويتأثرون بالثقافة الحامية.

والحاميون (نسبة إلى حام بن نوح) هم من أوائل المهاجرين الى أفريقيا من الجزء الشمالي الغربي لأسيا. وينقسم الى قسمين الحاميون الشماليون ويدخل ضمنهم الطوارق والتبو، والحاميون الشرقيون هم نتاج تزاوج بين السامين والسود ويدخل ضمنهم المصريون والنوبيون وقبائل البجة والجالا والصومال والاحباش خزانة هي جنوب الصحراء الى كويش بين حام بن نوح . ولكن الذي يمكن قوله ان القبائل الزنجية قد عاشت في هذه المنطقة قبل ان تصلها الهجرات الحامية من الشرق.

اما الزنوج فقد تعددت الآراء حول أصلهم فقيل انهم فرع من الكوشيين او انهم نتاج من امتزاج الكوشيين بالبوشمان والاقزام . اما النظريات التي ربطتهم بزنوج الهند او اندونيسيا فهي مرفوضة اليوم. ويرى علماء الاجناس ان افريقيا الجنس الزنجي، وبخاصة سكان القسم الغربي م منها، الذين احتفظوا بخصائهم الجنسية الى قبيل ظهور الاسلام، واطلق عليهم العرب اسم السودان وعلى موطنهم ارض السودان، وهم قبائل متعددة منهم التكرور والماندنيجو والسوننكو والفلانيون.

اما زنوج شرق وجنوب افريقيا فقد اختلطوا بالحاميين وتزوجوا معهم الأمر الذي ميزهم عن القبائل الزنجية الأخرى ويطلق عليهم اسم (البانتو)، وهم ينتمون الى اسرة لغوية واحدة بعكس زنوج غرب افريقيا. وينقسم البانتو ثلاثة اقسام. الغربيون والشرقيون والجنوبيون. ويشكل البانتو الغربيون

القسم الأكبر ويسكنون غابات الكونغوا. ويعيش البانتو الشرقيون في هضاب شرق افريقيا. اما الجنوبيون فيسكنون الجزء الشرقي من جنوب افريقيا). والملاحظ ان البانتو الشرقيين كانوا أكثر من غيرهم اختلاطا بالعرب وتصاهرا معهم الامر الذي نجم عنه
جنس جديد يسمى بالجنس (السواحيلي) ويتكل اللغة السواحلية وهي خليط من لغات متعددة عربية وأفريقية وهندية.

ومن المعتقد بوجه عام ان افراد قبائل البانتو كانوا يسكنون اصلا اقليم البحيرات الكبرى، وقد وصلوا الى الغرب والجنوب ليقوموا من هناك بسلسلة من ا التنقلات تتخللها فترات طويلة. أما الزنوج في غرب القارة، فأنهم لا شك يحتلون وطنهم الحالي منذ آلاف السنيين، ولقد كان انتشارهم في البداية من ناحية الشمال، ولم يدفعهم الى الجنوب الا قسوة الصحراء . وتشير الادلة الى ان الصحراء الكبرى كانت خصبا او كانت قادرة على تهيئة اسباب العيش لعدد كبير من السكان عاشوا على تربية قطعان الماشية وكانت الزراعة ممكنة في الصحراء الكبرى حتى قبل الف سنة قبل الميلاد بل ان المراعي كانت منتشرة. وهناك راي يقول انه نظرا لان الصحراء الكبرى اخذة بالانتشار بسبب عوامل التعرية والافتقار للوسائل الفنية للمحافظة على التربة من قبل البربر المقيمين في الاقسام الشمالية منها والزنوج المقيمين في الداخل. فان الصحراء أرغمت سكانها على الانتقال فانتقل البربر الى شقة ضيقة كثيفة السكان نوعا ما على امتداد البحر المتوسط وانتقل الزنوج جنوبا الى اقليم السافانا. وفي الالف الاول قبل الميلاد نشأ ضغط سكاني جنوب الصحراء ولحسن الحظ ظهرت بين الزنوج نقنية تقوم على استخدام الحديد وبعض المحاصيل الزراعية الحديثة مما جعل بالامكان ابتداع وسائل جديدة للعيش ويبدو ان قرطاجة هي ا التي علمت اهل افريقيا صناعة التعدين. ومن الواضح ان الزنوج كانوا يستعملون الحديد حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وقد مكنتهم الأدوات والاسلحة الحديدية من غزو الغابات الاستوائية كما زرع الزنوج من تاريخ مبكر عدة انواع من الحبوب مثل الدخن والارز والفول السوداني كذلك البطيخ والباميا والقرع وغيرها. وقد انتقلت المحاصيل الجديد على طول الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى الى حوض النيجر مما جعل الغابة الاستوائية صالحة للسكنى.

لما كان البانتو يقيمون في ابعد الانحاء نحو الجنوب قريبين من الغابات المطيرة في مرتفعات الكاميرون فقد وصلتهم التقنيات الجديدة وحدث . بينهم انفجار سكاني كبير فتوغلوا في الغابات المطيرة التي لم يكن فيها قبل وصولهم سوى جماعات متطرفة من الزنوج الاقزام (البوشمان). وقد استطاع البانتو اخضاع الاقزام وبالتالي اجتياحهم والزحف جنوبا. لا بد من الاشارة هنا الى ان الصحراء قد اثرت في بلاد السودان. حيث ان الصحراء ـ ليست دائما ـ كما يظن البعض مظهرا للعزلة والفصل، وانما . في حالات كثيرة اداة للربط والاتصال عبر الواحات المتناثرة فيها وهكذا كان حال الصحراء الأفريقية الكبرى. فالصحراء الكبرى اليوم ارض رملية منبسطة واسعة وقاحلة، مناخها حار للغاية، وليس فيها الاينابيع قليلة وبخاصة في مناطق الجبال، ولكن هذا لم يجعل منها عقبة كأداء غير ممكنة العبور، حتى قبل استعمال الجمل، لا سيما اذا تذكرنا ان الصحراء كانت أوفر خصبا في السابق، وكانت تشقها طرق كثيرة (١) ادت دورا هاما في تاريخ بلاد السودان كما سنفصل ذلك فيما بعد. ويكفي القول هنا هذه الطرق وصل الدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية الى بلاد السودان مما منح المنطقة ملامح جديدة. انه